الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَخَلِيلُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كثيرًا. أَمَّا بَعْدُ ...

عِبَادَ اللهِ، حَدِيثُنَا اليومَ عَنْ خِيَارِ هَذِهِ الأمةِ، وأفضلِهَا علَى الإطلاقِ، جيلٌ لا جيلَ مثلُهُ بالفضلِ والإحسانِ، لَا يُخَالِفُ مسلِمٌ فِي أَنَّهُمْ أَفضلُ خَلْقِ اللهِ – بعدَ الأنبياءِ والرُّسُلِ– لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤمِنٌ، وَلَا يَبْغَضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ.

وَأَجَلَّ صَحْبِ الرُسْلِ صَحْبُ مُحَمَّدٍ وَكَذاكَ أَفضَلُ صَحْبِهِ العُمَرانِ رَجُلانِ قَدْ خُلِقا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ بِدَمي وَنَفْسي ذانِكَ الرَّجُلانِ

لقدْ قَالَ اللهُ عَنهُمْ: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) فَيَا لِعِظَمِ هَذَا الوَصْفِ! شَهَادَةٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ رُحَمَاءُ بَينَهُمْ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. فَقَدْ بُعِثَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى النَّاسِ، فَانْقَسَمَ أَهْلُ زَمَانِهِ إِلَى أَقْسَامٍ، فَاخْتَارَ قَوْمٌ عَدَاوَتَهُ وَمُشَاقَّتَهُ، وَهُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ وَغَيْرُهُمْ، وَأَظْهَرَ قَوْمٌ مَحَبَّتَهُ وَنُصْرَتَهُ، وَأَبْطَنُوا فِي سَرِيرَتِهِمْ بُغْضَهُ وَعَدَاوَتَهُ، وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ، وَاختَارَ قَوْمٌ الإِيمَانَ بِهِ وَمَحَبَّتَهُ وَنُصْرَتَهُ، وَفَدَوهُ بالأَنفُسِ، والأموَالِ والأولَادِ؛ فَهَؤُلَاءِ هُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الصَّحْبِ الْكِرَامِ الْمَيَامِينِ الأَطْهَارِ:

حُبُّ الصَحابَةِ وَالقَرابَةِ سُنَّةٌ ***** أَلْقى بِها رَبّي إِذا أَحياني
قُلْ خَيرَ قَوْلٍ في صَحابَةِ أَحمَد**** وامْدَحْ جَميعَ الآلِ وَالنِّسْوانِ

لَقَدِ اتَّبَعُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاخْتِيَارِهِمْ، وَانقَادُوا لَهُ بِرَغَبَاتِهِمْ، وَانطَوَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَنُصْرَتِهِ؛ فَكَانُوا قُوَّةً مَعَهُ، سَاعَدَتْهُ عَلَى تَجَاوُزِ الأَزَمَاتِ، وَرَدِّ كَيْدِ الأَعْدَاءِ، فَالسَّاعَاتُ الَّتِي قَضَوْهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ أَفْضَلُ سَاعَاتِ الدُّنْيَا.

لَقَدْ سَاهَمُوا مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بِنَاءِ أَسَاسِ الإِسْلَامِ، وَوَضْعِ قَوَاعِدِهِ، كَانَ ابْنُ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً، خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ»، رَوَاهُ اِبْنُ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ. وَقَالَ سَعِيدُ اِبْنُ زَيْدٍ: (لَمَشْهَدٌ شَهِدَهُ رَجُلٌ يُغَبِّرُ فِيهِ وَجْهَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ. وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ)، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَيَكْفِي مِنْ فَضَائِلِهِمْ أَنَّهُمْ هَجَرُوا الأَهْلَ وَالأَمْوَالَ وَالأَوْلَادَ، وَتَرَكُوا مُعْتَقَدَاتِهِمُ الَّتِي اِعْتَقَدُوهَا عَشَرَاتِ السِّنِينَ، وَوَرِثُوهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، مِنْ أَجْلِ الإِيمَانِ بِهِ وَبِدَعْوَتِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاِجْتَمَعُوا مَعَهُ فِي الْمَدِينَةِ، وَفَدَوهُ بِالأَرْوَاحِ، والأَمْوَالِ، والآبَاءِ، وَالأَجْدَادِ، وَالأَعْرَاضِ.

فَإِنّ أبي وَوَالِدَهُ وَعِرْضي لعرضِ محمدٍ منكمْ وقاءُ

فَكَثَّرُوا سَوَادَهُ، وَقَهَرُوا بِشِدَّةِ مَحَبَّتِهِمْ لَهُ، الْمُلُوكَ وَزُعَمَاءَ وَرُؤَسَاءَ الْقَبَائِلِ فِي زَمَانِهِ، قَالَ عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ لِقَوْمِهِ كَمَا: (فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

فَيَا لِعِظَمِ هَؤُلَاءِ الأَصْحَابِ، وَعِظَمِ أَدَبِهِمْ، وَتَوْقِيرِهِمْ لِخَلِيلِ رَبِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! لَقَدْ نَشَرَ رُسُلُ وَجَوَاسِيسُ الْمُلُوكِ فِي الْعَالَمِ لِمُلُوكِهِمْ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ؛ حَتَّى قَوَتْ هَيْبَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُمْ، وَنَصَرَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالرُّعْبِ، فَخَضَعَ لِقَوْلِهِ القَرِيبُ، وَهَابَهُ الْبَعِيدُ، فَبِانقِيَادِهِمْ له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ اِنْقَادَتْ لَهُ أُمَمٌ، وَسَقَطَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ دُوَلٌ، وَفُتِحَتِ الْفُتُوحَاتُ.

أَسْلَمَتْ فِي عَصْرِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَكَّةُ، وَالْمَدِينَةُ، وَنَجْدُ، وَهَجَرُ، وَالْبَحْرَيْنِ، وَاليَمَنُ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَارَ الصَّحَابَةُ عَلَى نَهْجِهِ؛ فَفَتَحُوا الْعِرَاقَ، وَخُرَاسَانَ، وَمِصْرَ، وَالشَّامَ، وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، كُلُّ هَذَا فِي عَصْرِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ.

وَخَيْرُ هَؤُلَاءِ الأَصْحَابِ هُوَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهَ عَنْهُ، بِلَا خِلَافٍ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، حَيْثُ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ الْمَقْصُودُ بِقَولِهِ: (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)

صِدِّيقُ أَحمَدَ صاحِبُ الغارِ الَّذي هُوَ في المغارَةِ وَالنَبيُّ اثنانِ أَعْني أَبا بَكْرِ الَّذي لَم يَخْتَلِف مِن شَرْعِنا في فَضْلِهِ رَجُلانِ هُوَ شَيخُ أَصْحابِ النَبيِّ وَخَيرُهُم وإمامُهُم حَقّاً بِلا بُطلانِ وَيَلِيهِ بِالفَضْلِ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ اِبْنُ مَسْعُودٍ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَرَوَى اِبْنُ أَحْمَدَ وَغَيْرُهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (لَا يُفَضِّلُنِي أَحَدٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَّا جَلَدْتُهُ حَدَّ الْمُفْتَرِي)

لَمّا قَضى صِدّيقُ أَحمَدَ نَحْبَهُ دَفَعَ الخِلافَةَ للإِمامِ الثاني أَعْني بِهِ الفاروقَ فَرَّقَ عَنْوَةً بِالسَّيفِ بَينَ الكُفْرِ وَالإِيمانِ هُوَ أظهَرَ الإِسلامَ بَعْدَ خَفائِهِ وَمَحا الظَلامَ وَباحَ بالكِتْمانِ ثُمَّ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حَيْثُ اِسْتَقَرَّ أَمْرُ السَّلَفِ وَالْمُسْلِمِينَ قَاطِبَةً عَلَى فَضْلِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛

وَمَضى وَخَلّى الأَمرَ شورى بَينَهُم في الأَمرِ فاجتَمَعوا عَلى عُثْمانِ مَن كانَ يَسْهَرُ لَيلَهُ في رَكْعَةٍ وِتراً فَيُكْمِلُ خَتْمَةَ القُرآنِ

فَفَضْلُهُ مُتَوَاتِرٌ، هَاجَرَ الْهِجْرَتَيْنِ، وَزَوَّجَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِابْنَتَيْهِ الْوَاحِدَةِ تِلْوَ الأُخْرَى، وَجَهَّزَ جَيْشُ الْعُسْرَةِ.

ثُمَّ يَلِيهِ فِي الْفَضْلِ، عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَلَا يَسْبِقُهُ أَحَدٌ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ، وَهُوَ زَوْجُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ "، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَلِيَ الخِلافَةَ صِهْرُ أَحمَدَ بَعدَهُ أعْني عَليَّ العالِمَ الرَبّاني زَوْجَ البَتولِ أَخا الرَسولِ وَرُكْنَهُ لَيْثَ الحُروبِ مُنازِلَ الأَقْرانِ.

جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ المقبولِينَ، ونَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِالقرآنِ العظيمِ.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، وَاخْتِمْ بِالصَّالِحَاتِ آجَالَنَا.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

****

———— الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ: ————

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى عِظَمِ نِعَمِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَخَلِيلُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ...

عِبَادَ اللهِ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ بِالْفَضْلِ بَقِيَّةُ الْعَشَرَةِ، ثُمَّ أَهْلُ بَدْرٍ، وَأَهْلُ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ، وَأَهْلُ بَيْعَةِ الشَّجَرَةِ، قَالَ تَعَالَى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) يَا لِعِظَمِ مَا نَالَهُ الصَّحَابَةُ! فَطُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ؛ فَلَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا).

وَمِنْ فَضْلِهِمْ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، أَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ يَجُوزُ الصِّرَاطَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَا ثَبَتَ عِنْدَ مُسْلِمٍ عِنْدَمَا سُئِلَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ».

عِبَادَ اللهِ، لقدْ أجمعَ أهلُ السُّنةِ وَالجَمَاعَةِ عَلَى وُجُوبِ الترضّي عَلَى أَصْحَابِ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وموالاتِهِمْ، ومحبَّتِهِمْ، وَالْدُعَاءِ لَهُمْ، قَالَ تَعَالَى:"وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ".

عِبَادَ اللهِ، عَلَيْنَا أنْ نَعْرِفَ سِيْرَةَ أَصْحَابِ مُحَمَدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فهُمُ القُدْوَةُ، وَهُمُ الأُسْوَةُ، وَهُمُ الَّذِيْنَ عَلَيْنَا أنْ نَعْرِفَ لهُمْ قدرَهُمْ، فَنَقْرَأُ ما أُلِّفَ عَنْهُمْ فِيْ كُتُبِ السُنَّةِ ؛وَكُتُبِ التَّارِيْخِ، وَكُتُبِ الرِّجَالِ، كَطَبَقَاتِ ابنِ سعدٍ، وَسِيَرِ أعلامِ النُّبُلَاءِ، وَالبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ، وَغَيْرِهَا مِنَ المظانِّ.

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا بِحِفْظِكَ، وَوَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا، وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى؛ وَاحْفَظْ لِبِلَادِنَا الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ، وَالسَّلَامَةَ وَالْإِسْلَامَ، وَانْصُرِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى حُدُودِ بِلَادِنَا؛ وَانْشُرِ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِنَا؛ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِيِّينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ؛ وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَقُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمْكُمُ اللهُ.